

شعر

... وأسدل الستار!

عبد الجواد طایل



الناشر

المكتبة الأكاديمية

شركة ساعة مصرية

٢٠١١

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

حقوق الطبع والنشر © جميع الحقوق محفوظة للناشر ،

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

رأس المال المسدود والمدفوع ١٠,٢٨٥,٠٠٠ جنيه مصري

١٢١ شارع التحرير - الدقي - الجيزة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ، ٣٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٣٨٢٨٨ (٢٠٢)

فاكس ، ٣٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة
كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الناشر .

الإهداء

إلى أبي .. وأمي رحمهما الله

عبدالجواد طایل

obeikandi.com

... وأسدِلِ الستار!

والآن أيها الممثلون قد مضى المشاهدون

دون أن يلتفتوا وراءهم

وأسدِلِ الستار!

وانتهتِ الفصولُ كُلُّها نهايةً مُبتسرةً

ما بين ضجّةٍ بلا صدَى

وثرثره!

من بعد أن غدت مشاهدُ الروايةِ الطويلةِ المدى

رتيبة .. مُكرَّره!

كهذه المناهج التي يملؤها الصغار والكبار

بكتب المدارس المقرَّره!

تلك التي أهيل فوقها الغبار!

فقيم الانتظار!

لم يبق بيننا وبينكم

وشائج تجمعنا

ولم يعد - إذ نلتقى - يضمنا - حوار!

من بعد أن تقدَّمت جنودكم

مُظفره

مُنْتَصِره!

كأنها جحافل التتار

تدوسُ بالنعَالِ كلَّ من يقولُ لا

وتقرضُ الحصارًا!

بعنتريةٍ

تفوق عندما تغيرُ كَرَّ عنتره

سافرة في غيِّها حيناً .. وحيناً ربما مُستتره!

حتى بدتْ شوارعُ المدينةِ المقهورةِ

المنكسِره!

لكل من يهبطُ - فجأةً - بها

كأنها مُستعمَره!

أو ساحةٌ للحرب والدمار!

كأن كل هذه الكتائبُ المنتشرة!

وهذه العساكرُ المبعثرة

أمام كل هَيئَةٍ

وصوب كل دَارٍ

تدعو إلى الفخار!

فمعدرِه!

إذ أصدرَ المشاهدون كلُّهم وثيقَةً

بصيغةِ القَرَارِ

أن بادروا .. وغادروا يا أيُّها المُمثِّلونَ تحتَ جُنحِ

الليلِ

لا تنتظروا

أن يطلعَ النَّهارُ!



يا أيُّها المُمثِّلونَ

ما الذى يدعوكمُ الآنَ إلى المَاطَلَة
لم يبقَ فى حوزتِكُمُ جَديدٌ
من بعد أن تَأكَلَ الرِّصيدُ
وأصبحتُ جميعُ مُفرداتِكُمُ عقيمةً
مُهَلَّهَةً

وأصبحتُ رؤوسُكمُ مُعَطَّهَةً
من بعد أن أصابها الهزالُ والرَّكودُ
فما الذى يُفيدُ
والناسُ لم تُعد تُريدُ
ولم يُعد ضميرُها يَستعذبُ المِجامَلَه
ولم تُعد تُسعى لكى تُريقَ ماءً وجهها
لعلَّها تحظى ببعضِ هذه الوعودِ!

وهذه الغنائم الكثيرة المؤجلة

فلتذهبوا

فإننا نُهيبُ - واللهِ - بِكُمْ

أن تذهبوا

بغيرِ ضجَّةٍ

ودونما مُجادله!

ولتُنقِذوا المهمَّشِينَ

من بنى جلدتكم

من الغرقِ

الرافضين أن يُسَآوموا

أو أن يكونَ خبزُهُم .. وملحُهُم

بلا عَرَقٍ

أَوْ أَنْ يُصْعِرُوا خُدُودَهُمْ وَيَرْتَدُوا

عِبَاءَ الرِّقِيقِ وَالْعَبِيدِ!

وَيَنْحِنُوا

لَعَلَّهُمْ يَنْجُونَ مِنْ قَبْضَتِكُمْ

أَوْ عَلَّهُمْ يَسْتَيْقِظُونَ ذَاتَ مَرَّةٍ وَقَدْ

تَحَرَّرْتَ رِقَابَهُمْ

وَلَمْ تَعُدْ مُكَبَّلَهُ

يَا أَيُّهَا الْمَثَلُونَ فَلْتَفَادِرُوا

فَالْأَرْضُ تَحْتَكُمْ تَمِيدًا!

وَكُلَّ مَا لَدَيْكُمْ الْآنَ غَدًا

بِضَاعَةٍ مُسْتَعْمَلَةٍ

وَمُهْمَلَةٍ!

فما الذي يدعوكم الآن إلى

إعادة المحاولة؟

وما الذي يجعلنا

نجلس ألف مرة أمامكم

لكي نرى فصولَ هذه الروايةِ المُسَلَّسَةِ؟

فقد مضى المشاهدون دون أن يلتفتوا

وراءهم

وَأُسْدَلِ السُّتَارَ!

وَأُسْدَلِ السُّتَارَ!

وَأُسْدَلِ السُّتَارَ!



أيتها الشاعر!

أقبلَ الليلُ بالهوى والشَّبابِ
فاسترحنا على صدورِ العذابِ

نُطفئُ القلبَ .. واللَّظى في دمانا
إن ظمئنا ... بنيلِ شهدِ الرضابِ

أيُّها الشاعرُ الحكيمُ .. أغثنا
إذ جهلنا .. وكنتَ فصلَ الخطابِ!

وحسبنا بأننا بالثُرَيَّا
بينما نحنُ لم نزلْ بالثُرَابِ!

وشَبَعْنَا رتَابَةً .. وفتورًا
وقشورًا جوفاءً دون اللُّبابِ

وسئمنا من القصيدِ سفورًا
عارياً دون سُترةٍ أو ثيابِ

وظمئنا .. أجلّ لقصةٍ حبًّا
ولقاءٍ .. يحينُ بعدَ الغيابِ

والأماسيِّ في زمانٍ جميلٍ
مُستحيلٍ .. كنجمةٍ بالسَّحابِ

وصَدَى شِعْرِكَ الذى يَتَهَادَى
كالنوافيرِ ... كالرَّحيقِ المُذَابِ

وموسيقَاكَ ... كالنَّدى بالروابى
والخيالِ اللَّذيدِ فوقَ الهِضابِ

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الذى رَقَّ حَتَّى
عَانَقَ الوَهْمَ .. واشتكى للسرَّابِ

قُمْ بِنَا أَلْفَ رَغْبَةٍ وَفَضُولِ
لِلغَمُوضِ الجميلِ خَلْفَ الضُّبابِ

لارتشافِ المُنَى بليلةِ أنسِ
والأمانىِّ بالكؤوسِ العِذابِ

هذه الدورُ أقفرتُ من زمانٍ
هاجرَ الطيرُ فوقَ متنِ الرِّبابِ

وجنفا كلِّ مُهجةٍ وفؤادٍ
هاجسُ العشقِ فانطوى كالكتابِ

غيرَ باكٍ كأنَّهُ ذاتَ يومٍ
لم يكنَ بينَ دورِ هذى الصُّحَابِ



أقبلَ الليلُ باردًا .. فسَعَيْنَا
بينما مدُّ كفهُ في اضطرابِ!

فسألنا عن الهوى كلَّ حيٍّ
وطرقتنا .. بلهفةٍ .. كلَّ بابِ!

وَعَتَبْنَا عَلَى سُرَاةِ اللَّيَالِي ..
وَشَكُونَا الْجَفَاءَ .. بَعْدَ الْعِتَابِ

لَا النَّدَامَى بِكُؤًا وَلَا الْكَأْسُ فَاضَتْ
مِثْلَمَا الْأَمْسُ ... ثَرَّةً .. بِالشَّرَابِ

إِنَّمَا الصَّمْتُ رَانَ فَوْقَ طُلُولِ
وَصَدَى الصَّمْتِ كَانَ خَيْرَ جَوَابِ!



قَدْ غَدَا الشَّعْرُ .. وَالزَّمَانُ قَبِيحٌ ..
كَنِصَالِ السِّيُوفِ فَوْقَ الرَّقَابِ

وَعَدَا الْحَبُّ عُمَلَةً يِقْتَتِيهَا
كُلُّ فِذٍّ وَنَابِهِ فِي الْحِسَابِ

أيها الشاعرُ القديمُ .. جديدُ
أنتَ مازلتَ شامِخًا كالقِبابِ
خَمْرُكَ الحُبُّ والقصيدُ المُنصفَى
من عيونِ التُّراثِ دونَ اغترابِ!
اسقنيها إذنْ بكلِّ مَسَاءٍ
وأعدنا إلى رحابِ الشَّبَابِ!



نداء إلى الفاروق

نَمْ يَا عُمَرَ

نَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

وَأَملاً جَفُونَكَ دُونَ خَوْفٍ أَوْ حَذَرٍ

فِيمَ الْحَذَرِ؟!

وَالْعَدْلُ حَارِسُكَ الْأَمِينُ

وَسِلَاحُكَ الْإِيمَانُ

سَيْفٌ لَا يَحِيدُ وَلَا يَلِينُ

ورما حُكَّ التقوى .. فأنى تتكسِرُ؟!

والحقُّ ساعدُك اليمينُ

إن مالتِ الدنيا وأخفقَ ربُّما كلُّ البشرِ

أنت الصِّراطُ المستقيمُ العادلُ .. الحقُّ ..

اليقينُ

يا أيُّها الفاروقُ أينَ الآنَ أنتَ

الريحُ عاتيةٌ

وموجُ البحرِ جبارٌ

وأُمَّتُكَ الضعيفةُ في خطرٍ !

من غيرِ رُبَّانٍ .. ودونِ شواطئِ

وبلا سفينٍ

أدركَ شظاياها .. وأيقظها من الظُّلماتِ

والليل الحزين !
وأعد لها التاريخ .. والمجد القديم
وكبرياء الأولين
يا أيها الفاروق عد
عام الرمادة لم يزل يمتد من عام إلى عام
ومن حين لحين!
جفت ينابيع الحياة وأقفرت كل البوادي
والحضر
عد يا عمر
فالأرض ظمأى للسنابل والمطر
والنيل جرده اللصوص فلم يعد
صدرًا حنونًا تستريح الشمس في شطيئه!

أو ينسابُ في دمهِ القَمَرُ!



هَجَرَتْهُ أَسْرَابُ الطَّيُورِ وَمَزَّقَتْ أَسْتَارَهُ
الْمُدُنُ الْقَبِيحَةَ

فَاسْتَشَاطَ وَضَاقَ ذِرْعًا

وَأَنْتَحَرَ!



قُمْ يَا عُمَرُ

وَاضْرِبْ بِكَفٍّ مِنْ حَدِيدٍ

أَيَقِظُ جُنُودَكَ كِي تَقْوُضَ كُلَّ جِبَارٍ عَنِيدٍ

أَيْنَ ابْنُ زَيْدٍ .. أَيْنَ عَمْرُو .. أَيْنَ سَعْدٌ

أَيْنَ .. سَيْفُ ابْنِ الْوَلِيدِ؟!

القدسُ تصرخُ كلَّ يومٍ
المآذنُ .. والكنائسُ .. والمنازلُ ..
والحجارةُ .. والشجرُ
وعويلُ أشباهِ الأراملِ .. والثكالى ..
واليتامى
والعذارى .. ينكسرُ
فوق السكون
وفوق أسوارِ الحدودِ
والأرضُ ظمأى لم تزلْ
لدمِ الشهيدةِ .. والشهيدِ!
والفارسُ المغوارُ طفلٌ شاهرًا فى وجهِ آلافِ
اليهودِ

سَيْفًا وَدِرْعًا مِنْ حَجَرٍ!
وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يُنَادِي .. يَسْتغِيثُ ..
وَيَسْتَجِيرُ
وَكُلُّ قَلْبٍ بِالْمَصَلَّى يَنْفَطِرُ!
قُمْ يَا عُمَرُ
وَابْعَثْ فَوَارِسَكَ النَجِيبَةَ فِي الْفُرَاتِ
وَفُكَّ أَسْرَ السَّاجِدِينَ .. الرَّكَعِينَ بِكِرْبَلَاءَ
مِنَ السَّبَايَا .. وَالْعَبِيدِ
عُدَّ مِنْ جَدِيدٍ
لَا تَتَنظَرُ
فَالْكُلُّ مَشْغُولٌ بِتَقْسِيمِ الْغَنَائِمِ سَائِلًا
هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟!

وملوكنا باعوا القضية لم يُعَدَّ فيهِمَ أبو بكرٍ

ولم تتجَبَّ قبائلُهُمَ عليًا أو عُمرًا!

دأبوا على الترفِ المزيفِ والرياشِ وشوَّهوا

التاريخَ

والزمنَ الجميلَ

نَسُوا ولم يُصبحَ لديهمَ أيُّ ذاكرةٍ

ولم يتبقَّ من أمجادِهِمَ بئرٌ معطلةٌ ..

ولا قصرٌ مشيدٌ!

باعوا كنوزَ الأُمسِ بالذهبِ الرخيصِ

النفطِ

والدولارِ .. والسلطانِ .. لم يتعلَّموا

فعروشُهُمَ أعجازُ نخلٍ خاويه

وصروحهم من عنكبوتٍ واهيه
وبروجهم كبروجِ عادٍ أو ثمودٍ
ما عادَ فوقَ عروشهم قُطْرٌ
لكي يجتثَّ أعناقَ التُّرِّ

لم يبقَ فيهم من صلاحِ الدينِ أيُّ علامةٍ
أو أيُّ سَمْتٍ
أو أثرٍ!

صاروا جميعاً ألفَ فرعونَ وهامانَ .. وقارونَ
فما فيهم حكيمٌ أورشيدٌ!
قُمْ يا عُمَرُ
قُمْ يا أميرَ المؤمنينَ
عَلِّمَ جميعَ الجالسينَ على عروشِ المسلمينَ

سُننَ الأوائِلِ فى العِداَلِةِ
بِىنَ كَلِّ النّاسِ
كَلِّ النّاسِ مِن ماءِ وِطِينِ!
لا فَرَقَ بَينَ ابْنِ السَّبِيلِ لَدَيْكَ
وَابْنِ الأَكْرَمِينَ!
عُدِّ يا عُمَرَ
وَأَعِدِّ صِياغَتَنا
وَأيقِظْنا مِن الإِفْراطِ فى النّومِ العَميقِ
إِنا سِكارى لَم نَزَلْ
نَسْتَمِرُّ المَوتَ البَطِئَ وَلا نُفِيقُ!
حَرِّرْ مِصائِرَنا .. ضَمائِرَنا
فَمَازِلْنا نُباعُ وَنُشْتَرى

عادت إلينا الجاهليَّةُ
أصبحتْ أوطاننا سوقاً لكلِّ تجارةٍ
منْ أوَّلِ الكلماتِ فوقَ شِفاهِ كلِّ الكاذبينَ من
الوِلاةِ

إلى طوابيرِ العُراةِ على الفضائياتِ
للجنسِ المَعْلَبِ
للرقيقِ!

عُدَّ يا عُمَرَ
أنتَ السبيلُ وقد طرقتنا دون جدوى
كلَّ أبوابِ السُّبُلِ
قُمْ عَلِّمِ الأُمراءَ .. والنبلاءَ والسفهاءَ ..
والجُهلاءَ

كيف تُساسُ أقدارُ الشعوبِ
وترتقى بالعدلِ هاماتُ الدُّولِ!
من غيرِ تفريطٍ .. ودونَ مساوماتٍ .. أو تراخٍ
أو وَجَلٍ
فَمُ أَيُّها الفاروقُ أشعلنا
وأخمدُ حولنا هذا الحريقُ!
عُدْ إِننا ظمأى إلى نسماتِ عدلكَ
نشتهي ذاك الرُحيقُ!
نسعى إلى ثُقُبِ بنافِذَةٍ
يُطلُّ على شُعاعٍ
واعدٍ
أو يستريحُ على ذراعٍ

من بریق!

قُمْ يَا عُمَرُ

لا تَتَنْظِرُ

حلّ الظلام وعمّ كلّ مدائن الدنيا

وما زلنا بلا قدمٍ

ودون سواعدٍ

وبلا طريق!

أدرك خُطانا قبل أن تنساق خلف الزيفِ

ياكلنا عدوً يرتدى

ثوبَ الصديقِ

أنقذ بقايانا فقدّ ينجو بأخر لحظةٍ

ركبٌ غريق!



النيران والحطب

أَيْنَ الحضاراتُ والتاريخُ والنَّسَبُ
والذكرياتُ التي تزهو بها الحِقَبُ؟!

من قبلِ موسى وعيسى والخليلُ أبُ
والمصطفى نورُه من بعدُ ينسكبُ

وهل نسيتم متى كانت تحيقُ بنا
مَلَمَّةٌ كيفَ كان الشَّامُ يَضطربُ؟

وكيف كنا وكلّ الأرضِ مظلمةٌ
منارةٌ يعتليها سادةٌ نجبٌ!

تهبُّ مصرُ وأنتم في عباؤها
إن حوّمتْ حولنا أو طافتِ النوبُ

وإن شكّا رافدٌ في الشرقِ أو دمعتْ
عينانِ .. لما تزلّ وهرانُ تنتحبُ!



وإن بدا عارضٌ صوبَ المحيطِ غدتْ
أرضُ الكنانةِ كالبركانِ تلتهبُ

وإن دعانا إلى أن نلتقى عرضُ
هَبَّ الجميعُ وإن لم يُعرفِ السببُ!

كانت فلسطينُ كالمِحْرَابِ قِبَلَتَا
والقدسُ نَأْوِي إِلَيْهَا حِينَ نَغْتَرِبُ

نَشْتُمُّ عَطَرَ رَسُولِ اللَّهِ كُلَّ ضُحَى
كَأَنَّ رَكْبَ رَسُولِ اللَّهِ يَقْتَرِبُ

كَأَنَّمَا الْأَمْسُ حَيٌّ مَائِلٌ فَهُنَا
هَمَّ الْبُرَاقُ بِهِ فِي لَحْظَةٍ يَثِبُ

إِلَى السَّمَاءِ فَبَدَا مِعْرَاجُ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَقَدْ أزدانتُ بِهِ السُّحُبُ

هُنَا تَمَخَّضَتِ الْعِذْرَاءُ فِي جَلْدٍ
أُمُّ الْمَسِيحِ الَّتِي لِلْقُدْسِ تَنْتَسِبُ

فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَقَدْ هَلَّتْ بِشَائِرُهُ
فَاسْتَسَلَّمَ الزُّورُ وَالْبُهْتَانُ وَالْكَذِبُ

وَهَذِهِ الشَّمْسُ لَمْ تُطْفَأَ بِعَاصِمَةٍ
وَمَا تَوَارَتْ .. كَمَا لَمْ يَصْدَأِ الذَّهَبُ

بَغْدَادُ كَانَتْ لَنَا دَارًا وَحَاضِرَةً
وَمَنْبِرًا تَتَبَارَى فَوْقَهُ الْخُطْبُ

فِي لَيْلِهَا هِدَاةٌ لِلسَّاهِرِينَ عَسَى
يَرِقُّ قَلْبٌ وَيُنْسَى بِالهُوَى التَّعَبُ!

صَبِيَّةٌ كَابِنَةُ الْعِشْرِينَ حَامِلَةٌ
تُرَابُهَا زَعْفَرَانٌ طِينُهَا رُطْبُ

وكريلاءُ بآلِ البيتِ عامِرةٌ
وكلُّ باكِ على الأيامِ تجتذبُ

هذى ديارُ بنى العباسِ قد شهدتُ
مسارحَ الملكِ كيفَ الآنَ تُغتصبُ؟!

وتُستباحُ رُباها وهى ذاهلةٌ
كأنما لم يكنْ جَدُّ هنا وأبُ!

كأنما الحىُّ مهجورٌ لوحشتهِ
لم يُزهرِ الشِعْرُ فى واديهِ والطَّرْبُ

فكيفَ يوماً يُهانِ المجدُ فى وطنِ
وكيفَ يوماً يُباعُ الجاهُ والحسبُ؟!

قد أوشكَ الفجرُ أن يأسَى لفرقتنا
وكادتِ الشمسُ تبكى وهي تحتجبُ!

أسلافنا ما توانوا في مسيرتهم
فلم تغبَّ عنهمُ الأعمارُ والشُّهُبُ

كانت لهم صولةٌ في كلِّ مُنعطفٍ
وبصمةٌ .. وأيادٍ أينما ذهبوا

من قاديةٍ سعدٍ بالعراقِ إلى
أسودٍ طارقٍ والأمواجِ قد ركبوا

في كلِّ وادٍ لهم صوتٌ وألفُ صدَى
وكل حادثةٍ يزهو بهم لقبُ!

الخالدونَ إذا ماتوا فدا وَطَنَ
والفاتحون رعاةُ المجدِ إن غلبوا

كانت لنا هيبَةٌ كم بات يحسُدُنَا
من كان يسمَعُ يومًا أننا عَرَبُ

كم من ممالكٍ زالت وهى شامخةٌ
وكم فلولٍ تَدَاعَتْ وهى تتسحِبُ!

وكم توهَّجَتِ الدنيا بطلعتِنَا
وسجَّلتِ عزَّنَا الأسفارُ والكتُّبُ!

وكم تَغَنَّتْ بنا الآفاقُ فى ثِقَةٍ
وصفَّقَ الشُّعْرُ للأمجادِ والأدبُ!

عودوا إلى عصمة التاريخ إن غداً
لن يشفع اللوم والتتديد والغضب!

قد يسبقُ السيفُ لومَ اللائمينَ غداً
من بعد أن تلتقى النيرانُ والحطَبُ!



إِنْسَحِبْ!!

إِنْسَحِبْ!

إِنْسَحِبْ!

فجوادك قد نال منه التعب

وترجل.. وقف

قبل أن تنقلب!

فالزمان انقلب!

أيها الفارس المتمرد عفوًا

فهذا زمان قبيح الملامح

هذا زمانٌ بليدٌ

وأنتَ وحيداً

تُحلقُ دونَ جناحٍ

وحينَ تَحطُّ على أيكَةٍ

تغترِبُ!

رغمَ هذا الزَّحامِ!

وهذا الصَّخَبُ!

فانسَحِبْ!

انسَحِبْ!



انسَحِبْ!

انسَحِبْ!

فالسباقُ انتهىَ
والمساءُ اقتربَ
والسماءُ مُلبَّدةٌ بالسُّحُبِ
كُفٌّ عن سيرِكِ الآنَ
فوقَ الحِبَالِ
عن طموحِكِ
أو عن جموحِكِ
أو عن جنوحِكِ
نحو الخيالِ
وعن العَدُوِّ فوقَ عناقيدِ شوكِ
ومُنحَدَرٍ من لَهَبٍ!
فالمُحالُ .. مُحالٌ!

والبريقُ الذي قد يُداعِبُ عَيْنِكَ

ليسَ بريقَ الذَّهَبِ!

لا تَسَلْ

ثَمَّةَ الآنَ ما عاد جدوى لأىِّ سؤالٍ

أو لأىِّ جدالٍ

أو لأىِّ نضالٍ

أو لأىِّ كلامٍ يُقالُ

فالكلامُ نَضَبٌ!

والحكاياتُ والفلسفاتُ تَفِيضُ بها

أُمَّهاتُ الكُتُبِ

من زمانٍ ونحنُ نُردِّدُها دونَ حسٍّ عميقٍ

ودونَ سَبَبٍ!

رُبَّمَا تَرْفًا وَاذْعَاءً لَنْثَبْتَ أَنَا

رُعَاةُ الْجَمَالِ

دُونَ أَهْلِ الْجَنُوبِ وَأَهْلِ الشَّمَالِ!

أَوْ نُبْرَهِنَ أَنَا أَسَاطِينُ عِلْمِ الْبَيَانِ

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ»

فِي صَدْرِ كُلِّ الْخُطْبِ!

كَيْ نُوَكِّدَ أَنَا لِسَانَ الْبَلَاغَةِ فِي كُلِّ عَصْرِ

وَأَفْصَحُ مِنْ دَبَّجِ الشَّعْرِ وَارْتَجِلُوهُ

وَكَانَتْ لَهُمْ بَصْمَةٌ فِذَّةٌ فِي جَبِينِ الْأَدَبِ!

نَحْنُ لَا شَكَّ مَفْخَرَةٌ لِجَمِيعِ الْحَضَارَاتِ

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

يَكْفِي بِأَنَا عَرَبٌ

ولنا حَسَبٌ ذائعٌ ونَسَبٌ!
لم نزلْ نَعشَقُ الأَمَسَ حدًّا الجنونِ ونَسَى
بأنَّ الزمانَ الجميلَ مضى واحتَجَبَ!
فانسَحِبْ.. إنسَحِبْ



إنسَحِبْ!
إنسَحِبْ!
قبلَ أن يوغِرَ الغيظُ صدركَ
قبلَ أن يستفزُّوكَ شيئًا فشيئًا
فتفقدَ صبرَكَ
قبلَ أن يُجبروكَ بأن تتأمركَ

أنت ما زلتَ للآنَ تملكُ أمرَكَ
وغداً ربّما فجأةً يضطربُ
بعدَ كلِّ الحروفِ الدخيلةِ فى أبجديّاتنا
والخطابِ المحوَّرِ.. والمقتضبِ!
إنسحبِ.. إنسحبِ
قبلَ أن يُرغموكَ بأن تتأذّى
فتسكنُ قبرَكَ!
وتحرّرَ
وحطّمَ جميعَ القيودِ
فقد أنقضَ القهرُ ظهركَ!
أيُّها الفارسُ العبقريُّ كفاك
فما عادَ هذا الزمانُ زمانَكَ!

وتتحَّ فما عادَ هذا المكانُ مكانك!

لا.. ولا العصرُ أصبحَ عصرَكَ!

فانسحبَّ

قبلَ أن تُسقطَ الريحُ آخرَ أقنعةٍ

فوقَ وجهِ الغضبِ!

والمدى ينتحبَّ!

والبراءةُ في قلبِكَ الطفلِ

قد تُغتصبَّ!

قبلَ أن تَأكلَ النارُ كلَّ الذي لم يزلْ

في بطونِ الثرى

من حطبِّ!

فانسحبَّ!

إِنسَحِبْ!

إِنسَحِبْ!



أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمُتَرْجِّلُ

مَنْ فَوْقَ هَذَا الْجَوَادِ

فَاتَ وَقْتُ الْحِصَادِ!

وَمَضَى زَمَنُ الْحَرْبِ مِنْ أَجْلِ مَجْدٍ وَعِزٍّ وَجَاهٍ

وَمَعْرَكَةٍ تَسْتَحِقُّ الْجِهَادَ!

حَانَ وَقْتُ الْهَرَبِ!

فَانسَحِبْ!

مِزْقُ الْآنَ كُلِّ الْقِصَائِدِ فِي اللَّيْلِ وَالْخَيْلِ

وَالْخَمْرِ وَالْحَبِّ!

جَفَّ هَذَا الْمِدَادُ

حَيْثُ بَانَتْ سُعَادُ

بَعْدَ لَيْلَى وَهِنْدٍ وَبُنَى وَسَلْمَى وَكُلِّ الصَّبَايَا

اللَّوَاتِي

لَطَمْنَ الْخُدُودَ

وَأَعْلَنَ بَدَأَ فِصُولِ الْحَدَادِ!

فَاسْتَرَا حِ السُّهَادُ

وَأُهَيْلَ التُّرَابُ عَلَى قَسَمَاتِ الطَّرْبِ!

فَانسَحَبَ!

إِنْسَحَبَ!



نَحْنُ فِي زَمَنِ الْجُوعِ وَالْخُوفِ وَالْجَهْلِ وَالْقَهْرِ

والعُهرِ

هذا زمانٌ .. بأهدابهِ

يَسْتَظِلُّ الفسادُ!

أين منه زمانٌ ثمودٍ وعادُ!

يا زمانَ العَجَبِ!

فالنجومُ هَوَتْ

وانزوتُ

فى الفضاءِ السحيقِ الشُّهُبِ!

وأضاءَ الظلامُ المُخيمَ فوقَ رؤوسِ العبادِ

والمُقيمَ بطولِ وعرضِ البلادِ

من بعيدٍ .. ذَنَبِ!

حالكٌ كالسَّوادِ

فاستغاثَ السَّوَادُ!

دونَ جدوى.. متىَّ يستجيبُ الجمادُ!

للكلامِ المعادِّ



فاحترمِ ذاتَكَ الآنَ

لا.. لا تُرِقْ ماءَ وجهكَ من أجلِ هذا الغُثاءِ

وهذا الكَذِبُ

وانسَحِبْ.. انسَحِبْ.. انسَحِبْ!



انسَحِبْ!

انسَحِبْ!

لا تقفِ

ذاهلاً.. هكذا

تتغنى بهذا الحياءُ

بانتظارِ الغدِ المرتقبِ!

وابتعدُ

فنجأتك تبدأ منذُ قرارِ البعادِ!

لم يُعدْ بينَ هذى القبائلِ زيدٌ وعمرو

ولا خالدٌ أو زياداً!

أو صدئُ ذائعٌ لرجالِ شدادٍ

أو بقايا لَقَبٍ!

بعدَ أنْ أُغمدَ السيفُ وانكسرتُ

شوكَةُ الصافناتِ الجيادِ!

من حدودِ الفُراتِ ودجلةَ شرقاً

إلى الأندلس

فجميعُ الحصونِ .. وكلُّ القلاعِ وما قد حوتْ

من عتاد

شيدتْ فوقَ أعمدةٍ من زغبٍ!

فانسحبْ

لم تعدْ هذه الأرضُ ملكًا لنا

بعدَ أن باعها في المزاذ

المُرابونَ والوارثونَ احتيالاً وغصباً

وأصحابُ كلِّ الرُتبِ!

لم تعدْ هذه المُدنُ الحجريَّةُ

أوطاننا

لم يُعدْ بالسنابلِ قمحٌ

ولا بالنخيلِ

رُطْبًا!

بعدَ أن هاجَمَتها فلولُ الجرادِ

ثُمَّ حاقَ بها

واستَبَدَّ الوَصْبُ!

فانسَحِبْ!

انسَحِبْ!

انسَحِبْ!



زهرة من آذار

داعَبَ النِّيرُوزُ أَهْدَابَ الخَمِيلَةِ
ورنا آذار بالبُشرى الجميلة!
مَلَكٌ والنورُ في غُمرَتِهِ
وكانَ اللهُ لَم يَخْلُقْ مثيلَهُ
حينما رَفَّتْ وشَفَّتْ كالندى
كالهُدى بينَ سفورٍ وفضيلة!

وهفتُ كالريم مُستسلمةً
للمقادير .. كأنسامٍ عليه
ونمتُ في شفيتها ضحكةً
كالصبا الباكر خجلى كالطفوله
كاحتفلاتٍ بمسرى شاعري
قد بدا كالنجم في ليل القبيله
كرحيق الفجر في إفصاحه
كهلال العيدِ قد أرخى سدوله
تعبُرُ الأفق بفكر شاردٍ
وهي تختالُ بأحلام ظليله

حين تبدو من بعيدٍ وأنا
ذاهلٌ لم يبق لي الصمتُ وسيله

ها أنا حطمتُ قيدي بيدي
مثل شمشون .. وها أنتِ دليله!

صرتُ في شوقٍ إلى حُرّيتي
بعدَ أمادٍ من القهر طويله

كانت الدنيا بقايا فرحةٍ
لم تزل مسلوبةً حيرى.. ذليله

أسفحُ الأشواقَ من غير صدئى
بينما حظى سويعاتٌ قليله

من أحاديث على رقتها
لم تُعدّ إلا حكاياتٍ هزيلة
بينما يكسو مُحياىَ أسيءُ
وعلاماتٌ من الحزن نبيله
وشـرودٌ طالما أدمنته
رغم أنى طالما اشتقت رحيله!
وبشطانٍ خيالى سكنتُ
زهرةً فيحاءً تبدو مستحيله
ثمّ تساقط شعورا وندى
فى كتابى .. كالفرشاتِ الجميله

والذى أوجع قلبى كُلِّمَا
لمتُهُ .. أقبلَ عدوا كى يُميله

والذى أحياهُ من رَقَدَتِهِ
بعيونٍ مُستبِداتٍ كحيله

ليسَ للأشواقِ تفسيرٌ ولا
للهوى عقلٌ .. ولا للعشق حيله

حينما نعشق نبدو مثلما
مهجٌ حيرى وأرواحٌ كليله

فاشربى كأساً وهاتى رشفةً
إنَّهُ الحبُّ امنحينى سلسبيله

قَرَّبِي كَفَّكَ مَنِي فَيَدِي
لَمْ تَزَلْ ظَمَأَى إِلَى كَفِّ نَحِيلِهِ!

وَأَحَاسِي سِي بِشَوْقٍ لِلذَى
أَوْشَكَتْ عَيْنَاكِ .. صَمْتًا .. أَنْ تَقُولَهُ

بَخِلُ الدَّهْرُ .. وَكَمْ عَذَّبَنِي
فَاغِيثِينِي .. فَمَا أَنْتِ بِخِيلِهِ!

وَانْقَلَى عَنِّي بِأَنِي لَمْ أزلْ
أَهْبُ العِشْقُ وَإِنْ كُنْتُ قَتِيلَهُ!



راهبٌ ولؤلؤه!

قليلٌ من التبرِ .. والعَسَجِدِ
أنا قانعٌ بالثراءِ القليلِ!

أنا حائرٌ فخذى بيدي
شريدٌ وفى مقلتيكِ السبيلِ

وبى ظمأً للصباحِ الندى
على شفّتيكِ .. وللسّسبيلِ

أنا راهبٌ والهوى معبدي
وذنبى .. والله .. ذنبٌ جميلٌ

سَعَيْتُ إِلَيْكَ لِكى أَهْتَدِي
وإن كنتُ أسعى إلى المستحيل!



قليلٌ من البوحِ عند اللقاء
وإن كان فى الصمتِ صوتُ الصدى

ففى مقلتيكِ حروفُ النداءِ
يقيناً تكاد تشقُّ المدى

تقولُ أحبُّكَ فى كبرياءِ
وأعشقُ مثلكِ ياءَ النداءِ

فأعجبُ من بعضِ هذا السَّخَاءِ
فيا ليتنى أن أراه غدا

فطيفُكِ كم ألهبَ الشعراءُ
وبابُكِ في الحبِّ كم أوصدا !



قليلٌ من الحبِّ يا شهرَ زادٍ
ويا قمرٌ في جبينِ الأفقِ

مَشَيْتُ بطولِ وعرضِ البلادِ
من الفجرِ حتَّى انصهارِ الشَّفَقِ

فلم أشهدِ الحبَّ في أيِّ وادٍ
ولم أرتكبْ مثلَ هذا النَّزَقِ

ولم تمتزج أدمعى بالسُّهادِ
بشعري وقد ذابَ فوقَ الورقِ

سوى لحظةٍ لم تزل أو تكادُ
تذكرني أننى أحترقُ ..
☆☆☆

قليلٌ من الهمسِ يا لؤلؤه
تُسبِّحُ بالحبِّ خلفَ المِجَازِ

فحسبكِ سبِحانَ من أنشأه
ووجهكِ منه يغارُ النهارُ!

أحاول في الليلِ أن أقرأه
وأن أتسلَّلَ خلفَ الوقارِ

فألمح فيه جمالَ امرأه
وَإطراقَ طفلٍ وبعضَ انكسارٍ

كمن ضلَّ في لحظةٍ مرفأه
فلمَّا يُعدُّ بيديهِ اختيارٍ



قليلٌ من الطيرِ خلفَ الغيوبِ
لنسكنَ بينَ جفونِ القَمَرِ!

كلانا غريبٌ بهذىِ الدروبِ
وقد ضمَّنا ذاتَ يومٍ قَدْرٌ

فكيف لنا الآنَ ألا نذوبُ
وقد ذوّبَ الحبُّ قلبَ الحَجَرِ!

أنا كيفَ لى .. كيفَ لى أن أتوبَ
وفى طرفِ عينيكِ هذا الحَوْرَ

بعيدٌ أنا رغمَ أنى قريبٌ
وأنتِ بعينى رغمَ السَّفَرِ
☆☆☆

أنا طائرٌ دائماً لا أبالى
سوى بالعيونِ التى لا تقامُ

وأن تسكُننى فى زوايا خيالى
وأن تنبِضى فى عروقِ الكلامِ

وأن تجلسى فوقَ عرشِ الليالى
قصيدةَ شعروا وراءَ الغمامِ

تطالعُها الناسُ مثلَ الهلالِ
متى أقبلَ العيدُ فى كلِّ عامٍ

وحسبُكِ أنى على كلِّ حالٍ
لديكِ .. وأنتِ بصدرى وسامٍ



للاَسْأَلِي

أرجوكِ لا تسألي .. إن كانَ بي شَغَفُ
أو كان لي غايَةٌ .. أو كان بي كَلْفُ

أو كنتُ ذا علَّةٍ أعييتُ بشائرها
وحيَّرتُ دون جدوى كلَّ من وصفوا

أو علَّها - فجأةً - أرختَ ستائرُها
وأغلقت - خلفنا - أبوابها الصُدْفُ

وأدرکتُ أننا ظمأى .. بنا وطراً
لقطرةٍ - بخريفِ العمرِ - ترتشفُ
أو كان بي هاجسٌ على أترجمهُ
قصيدةٌ لم تزل بالعشقِ تعترفُ
كأننى مُذنبٌ أو عابثٌ .. نزقُ
والحبُّ حتى وإن أودى بنا ترفاً!
أرجوكِ لا تسألى إن كنتِ مُدركةً
بأننى - عِنوةً - للموجِ أنجرفُ
مُجدِّفاً بخيالى دونِ أشرعةٍ
لعلنا نلتقى والشَّهرُ ينتصفُ!

أَوْ رَبِّمَا وَأَنَا بِالْبَحْرِ تَلْقَفُنِي
جَنِيَّةٌ حَفَّهَا الْمَرْجَانُ وَالصَّدْفُ

وَلَمْ تَزَلْ تَتَثَنَّى كُلَّمَا اقْتَرَبْتُ
وَأَوْمَأْتُ وَبَدَا الْمَسْتُورُ يَنْكَشِفُ

شَهَقْتُ فِي دَهْشَةٍ مِنْ أَنْتِ فَارْتَعَشْتُ
كَانَتْ بِهَا لَهْفَةٌ حَيْرَى وَبِى لَهْفٌ



أَنَا الَّتِي بِمَدَادِ الْقَلْبِ تَرَسُمُهَا
فَوْقَ النَّدَى - زَهْرَةٌ - تَبْكِي وَتَرْتَجِفُ

كَانَ الشِّتَاءُ بَلِيدًا فِي مَلَامِحِهِ
وَالنَّاسُ فَوْقَ مُحَيَّاها بَدَا خَزَفٌ !

كَأَنَّهُمَا مِنْ دُمِي بَاتَتْ تُحَرِّكُهَا
غَرَائِزٌ لَمْ تَزَلْ بِالْجُوعِ تَتَّصِفُ

مَنْ خَلْفَ هَذَا الْمَدَى نَادَيْتَنِي وَأَنَا
غَدَوْتُ كَالشَّمْسِ إِذْ تَخْبُو وَتَتَكْسِفُ

أَجْتَرُّ أَمْسِي وَأَنْعَى حَاضِرِي وَغَدِي
أَسِيرَةٌ فِي سَكُونِ اللَّيْلِ أَعْتَكِفُ

أَشْكُو وَفِي أَضْلَعِي قَلْبٌ يَعْذِبُنِي
أَبْكِي وَفِي أَدْمَعِي إِمَّا بَدَتْ أَسْفُ

فَقُلْتُ لَا تَسْأَلِينِي طَالَمَا اخْتَلَفْتُ
دُرُوبَنَا وَكَلَانَا لَيْسَ يَخْتَلِفُ!

أنا وأنتِ حكاياتٌ وملحمةٌ
على جدار المدى قد خطها السلفُ

لكننا - لست أدري - كيف طاب لنا
عزوفنا وتولّى أمرنا الصلّافُ

وكيف لم نستبق أحلامنا وبنا
هذا الحنين إلى المجهول والشغفُ

لا تسألي فلماذا أنتِ حائرةٌ
مذ ألف عام مضت قد جفتِ الصُّحفُ

ألم أقل إن في عينيكِ مملكةً
وكم ملوكٍ على أبوابها وقفوا

إلا أنا فأنا أرعى حدائقها
وأستظلُّ بهديها .. وألتحفُ

ليتَ الزمانَ وإن شابت ملامحُه
يصفو ولو لحظاتٍ .. ثمَّ ينصرفُ



إلى أمي

أُمّاهُ تاهَ الطُفْلُ - بَعْدَكَ - فِي الزَّحَامِ
داسَتْ عَلَيْهِ الكائِناتُ جَمِيعُها
مَنْ نَسَلَ آدَمَ لِلهُوَامِ!
وَكَأَنَّهُ صَيْدٌ ثَمِينٌ داهِمَتُهُ الرِّيحُ وافترسَتْهُ
أَنْيابُ الظَّلامِ!
أُمّاهُ كُنْتَ البَيْتَ والأَحبابَ والخِلاَّنَ والزَّمْنَ
الجميلَ

وكنتِ كلَّ عشيرتى

كنتِ السماحةَ والرحابةَ والزَّمامَ

أمَّاهُ كنتِ البابَ والشُّبَّاكَ .. والمزلاجَ

والوطنَ المُفدَّى والصَّمامَ!

كنتِ الأنامَ وكم شكوتُ إليكِ من ظلمِ الأنامِ!

لا طعمَ للأشياءِ بعدَكَ

لا أمانَ ولا حنانَ ولا سلامًا!

جَفَّ المِدادُ وشابَّتِ الأحلامُ فوقَ دفاترى

ومشاعرى

زلتُ وفرتُ من خيالى - كالدموع - خواطرى

« وتعطلتُ لغةُ الكلامِ »!

أمَّاهُ بعدَكَ - لا أنيسَ ولا جليسَ ولا رفاقَ

ولا بَشْرًا!

فالناسُ - كلُّ الناسِ - قلبٌ من حَجَرٍ

ومشاعرٌ جوفاءٌ باردةٌ

ووجهٌ من رُخامٍ!



أُمّاهُ - بعدكِ - من يقومُ الليلَ يَلْهَجُ بالدُّعاءِ

يتدبَّرُ القرآنَ

يقرأُ سورةَ «الرحمن»

يَسْجُدُ في خشوعٍ وانحناءٍ!

ويداهُ ضارعتانِ تلتَمسانِ بعضَ الصّفحِ

من ربِّ السَّماءِ!

قبلَ الصّباحِ وعندما تتهيَّئُ لتقرئِ

وردَ المساءِ!

يقظى فقلبك لا يكل ولا يمل ولا ينام!



أماه من أشكو إليه توجعى فى كل حين
وأنا أغالب أدمعاً حيرى وأحزاناً بدت معقودة
فوق الجبين

وأمد كفى - مثلما علمتى - لدُمى - تشيح
بوجهها

عن ناظرى فلا ترق ولا تلين!
والليل قضبان وطفلك خلفها قلب سجين!
لم يخط منذ أمس شبراً واحداً
صوب الأمام!



أماه من سيرد عنى هذه الأحزان

فى الليلِ الثَّقيلِ

ويشدُّ أزرى كُلِّما ضاقت بى الدنيا

ورفرَفَ فوقَ أحلامى جَنَاحُ المستحيلِ

ويعودُ بى كالأمسِ طفلاً لا يرى عبرَ المرايا

غيرَ وجهٍ واحدٍ للكونِ .. جذابٍ جميلٍ!

ويغضُّ طرفاً كُلِّما أخفقتُ أو أوشكتُ يوماً

أن أميلَ!

ويكونُ لى مثلَ الندى لما يُناصبنى الزمانُ عداوةً

وأسىً

ويوغلُ فى الخصامِ!

أُمَّاهُ تاهَ الطفلُ - بعدكِ - فى الزَّحامِ!

أُمَّاهُ تاهَ الطفلُ - بعدكِ - فى الزَّحامِ!



وزُلزِلَتِ الْأَرْضُ

وَزُلزِلَتِ الْأَرْضُ زَلزَالَهَا
وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
وَقَالَ الْمُكَابِرُ فِي الْمَشْرِقِينَ : تُرَى مَا لَهَا؟!
فَرَدَّتْ أَلْمُ تَدْرِ
أَحْرَقَ بَوْشٌ وَكُونَدَا وَأَوْلَمَرْتُ فِي هِدَاةِ اللَّيْلِ
بُسْتَانَهَا
وَذَبَّحَ صَهْيُونَ أَطْفَالَهَا

وَدُكَّتْ بَلْبُنَانَ دَوْرُ الْعِبَادَةِ

بِلَا رَحْمَةٍ .. وَبِغَيْرِ هَوَادَةٍ!

وَمَا زَالَ كُلُّ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

يَسْتَتَكِرُونَ

وَقَدْ يَشْجِبُونَ

وَيَجْتَمِعُونَ فُرَادَى

وَلَا يَلْتَقُونَ

وَيَنْفِضُ سَامِرُهُمْ

دُونَ رَأْيِ سَدِيدٍ

وَدُونَ قَرَارِ رَشِيدٍ

وَدُونَ إِرَادَةٍ

وَيَحْتَرِفُونَ الْبَيَانَاتِ وَالْتَوْصِيَّاتِ الْمُعَادَةِ!

ملوكًا .. وقاده

تبيعُ إلى العمِ سامَ .. مُقابلَ بعضِ الأمانِ

المُخادِعِ

سُلطانها

وتدفنُ طيَّ الثرى وخلالَ المقابرِ

تاريخها

وأمجادها

وتهنأُ بالنومِ مثلَ النساءِ ... ومثلَ الجوارى

على سُررٍ من حريرٍ وثيرٍ

وتبكي على مُلكها فوقَ خدِّ الوسادِ!

وتخشى بأن تتورطَ من بعدِ أن أصبحتُ

كالدمى

فى يديهم

تكادُ تجرجر فى العارِ أذيالها!

وما زالَ يبيحُ زيدٌ وعمروٌ لى تَضَعُ الحربُ

أوزارها!

وما زالَ لبنانُ يصرُخُ فينا

حزينا

وما زالَ صهيونُ يُهدى إلينا من النيلِ حتى

شطوطِ الفراتِ

عناذهُ!

يُلَقِّننا كلَّ يومٍ دروساً

ويَفرضُ فى لهجةِ الأمرِ المُستَبدِّ

شروطَ السيادة!

ونحنُ كما نحنُ - نشجُبُ - خوفاً وضعفاً ..
وما زالت الأرضُ فى الليل والفجرُ تُقصفُ
قصفاً

وقد قرَّرَ الآنَ زيدٌ وعمروُ بأن نترِثَ
مادامَ لِبَنانُ ما زالَ حياً
وأن نتمهَّلَ حتى تتمَّ الإباده!

☆☆☆

وزُلزِلَتِ الأرضُ زلزالها
وأخرجتِ الأرضُ أثقالها
وقال المكابِرُ فى المشرقينِ : تُرى ما لها؟!
وهبَّتْ لتنفِضَ عنها الغبارا
وتطفئُ نارا

وتَغسَلَ عارا
يُصدِرُهُ المُرَجِفُونَ لها!
وما زالت الأرضُ تصرُخُ مذعورةً
تستغيثُ بأخوةِ يوسفَ
حتى تُفكَّ الحِصارا!
وتستقبلُ الموتَ فى كبرياءٍ
جهارًا .. نهارًا!
وتحمى شجيرةَ أرزٍ بلونِ السلامِ
ودارا!
وتبكي شيوخا كبارا!
وطفلاً رضيعاً وأماً .. وتكلى ... وحُبلى ...
وأرملةً

وعجوزاً وسيدةً وعذارى!
وما زالتِ الأُمَّةُ العربيَّةُ تسعى لعقدِ اجتماعِ

يتيمٍ ... عقيمٍ
عسَاهُ يُرْتَقُ أثوابُهَا

يُذَكِّرُهَا أَنْ ثَمَّةَ أَرْضًا وَعَرِضًا وَجَارًا!
وما زالَ لبنانُ يعزفُ مُنفردًا خارجَ السربِ
ملحمةً وهو يقصفُ كلَّ حصونِ اليهودِ

ويرفَعُ « اللهُ أكبرُ » لافتةً وشعارًا!
يغيرُ على الشامتينِ بتلِّ أبيبٍ وحيِّفاً وعكًّا
وكرياتِ شمونَ

ويسحقُّ هاماتهمِ
ويجرُّعُهم ذلَّةً وانكسارًا

ويقطفُ نجمةَ داوودَ وهو يؤكدُ للعالمينَ بأن
جميعَ النجومِ التي لمعتْ ذاتَ ليلٍ لديهم
غداً تتوارى!

وما زال لبنانُ يركضُ منتفضاً في شموخ
توازره القدسُ والقادسيةُ والشامُ
والمغربُ العربيُّ ومصرُ!

وفوقَ روابيه يُنقشُ إما بدا الفجرُ نصرُ
وأمةُ عيسى وأحمدَ في كلِّ عاصمةٍ تتوحدُ
من أجلِ أن تتبارى

لنيلِ الشهادةِ - فجرًا وظهراً وعصرًا وليلاً
فداءً لبيروتَ والقدسِ
وهي تشقُّ صفوفَ هولاءِ الجديدِ

وَأَتْبَاعِهِ
ثُمَّ تَجْتَثُّ مِنْ فَوْقِ مَتْنِ الْوَجُودِ

الْتِتَارَا!

وَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

وَقَالَ الْمَكَابِرُ فِي الْمَشْرِقَيْنِ : تَرَى مَا لَهَا؟!

فَرَدَّتْ أَلَمْ تَدْرِي

أَحْرَقَ بَوْشٌ وَكُونَدَا وَأَوْلَمَرْتِ فِي هِدَاةِ اللَّيْلِ

بُسْتَانَهَا

وَذَبَّحَ صَهْيُونَ أَطْفَالَهَا!



أفعال الرفض

نأسفُ ... نرفضُ ... نشجُبُ

نستكرُ ... نستكفُ

نستهجنُ ... نحزنُ ... نبكى

نشكو للأمم المتحدة أو للفيتو!

نبحثُ ... نكتبُ ألفاً قصيدة شعرٍ

نستنفرُ كلَّ الأقلامِ

نعتصرُ أسىً ... لا نقبلُ

وَنُدِينُ الْعِدْوَانَ الْغَاشِمَ لَكِنْ نَخْشَى أَنْ
تَتَعَصَّبَ كُونْدَا^(١) ... أَوْ أَنْ يَغْضَبَ بُوْشُ^(٢)

وَتُونَى بَلِيرَ^(٣) وَإِسْرَائِيلُ

فَلَا يَنْعَقِدُ سَلَامًا

أَوْ أَنْ يُصْبِحَ غَدْنَا أَكْثَرَ سُوءًا مِنْ حَاضِرِنَا!

أَوْ أَنْ يَغْدُوَ أَسْوَدَ جَدًّا!

أَوْ أَنْ نَغْرَقَ فِي قَاعِ النِّسْيَانِ وَنَسْقُطَ

فِي جُبِّ الْأَوْهَامِ!

أَوْ أَنْ نَفْقِدَ دُولَارَاتِ الدِّعْمِ

فَنَوْشِكُ أَنْ نَتَضَوَّرَ جَوْعَى

أَوْ نَتَهَالِكُ

(١) وزيرة خارجية أمريكا أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان ٢٠٠٦ وهي كونداليزا رايس.

(٢) بوش الابن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الغزو.

(٣) رئيس وزراء بريطانيا أثناء الغزو.

أو نتساقطَ صرعى

أو أن نندمَ إن حاولنا أن نتمردَ

هل يتمردُ من لا يملكُ ثمنَ القمحِ

وثنَ رغيفِ الخبزِ

ومن لا يعرفُ أىَّ سبيلٍ للأحلامِ!

لكنَّ يبقى الحالُ على ما كانَ عليه ونمضى

فى أفعالِ الرفضِ الأولى

نأسفُ ... نرفضُ ... نشجُبُ

نستكِرُ ... نستكفُ



قد نَحْتَجُّ ونُعَلِنُ أن اليومَ

حدادٌ عامٌ!

لن نستمع الآن لعمر ودياب ... ونانسي
وهيّا!

سوف نتابع نشرات الأخبار
وحزب الله

وكيف يؤدّب إسرائيل بتل أبيب
وعكّا وهيّا!

قد نتجاوز هذا العام
عن حفلات الصيف فلا نستورد
من مكسيم مشهيات الليل من الكافيار
وقد لا نرقص في مارينا
أو نتمايل في حلقات
حين تُحاصرنا الأنغام!

قد لا تشربُ بعضُ النخبةِ من ساداتِ القومِ
نبيداً باريسياً

رغم الحاجة!

قد لا تأكلُ أطباقَ السيمون فيميه

ولا تتذوقُ أى فواجرًا!

قد تتقشفُ أو تزهدُ فى أى شرابٍ وطعامٍ!

قد لا تُبحرُ هذا الصيفَ إلى فينيسيا

والريفييرا

وسالز بوج

وقد تتحرَّجُ فى أن تغدو أو تتسكعَ فى

البيكاديللى

أو تتجولَ عبرَ الهايد بارك

وتسعى كى تشتَمَ أريجَ الورد الطازج
فى طُرقاتِ أمستردام!
لكن يبقى الحالُ على ما كان عليه ونمضى
فى أفعالِ الرفضِ الأولى



قد نمشى فوق الألفامُ
أو نتمزقُ
حين نُطالعُ فى التلفازِ مشاهدَ قانا
والأطفالِ الرضعُ تصرخُ تحتَ الردمِ
تقاومُ
تستتجدُ بالموتِ الأكثرِ عطفاً وحناناً
والقنبلةِ الأغبى جداً من أمريكا وإسرائيلَ

تَهْزُ الْأَرْضَ ... وَتَقْتَلِعُ الْأَشْجَارَ

وَتَلْتَهُمُ الْيَابِسَ وَالْأَخْضَرَ

وَالْإِنْسَانَ!

وَالْحَيَوَانَ!

قَدْ يَسْتَيْقِظُ - بَعْضَ الْوَقْتِ

ضَمِيرُ الْأُمَّةِ

ثُمَّ نَفَكَّرُ أَنْ يَلْتَمَّ الشَّمْلُ

وَنَطْمَعُ أَنْ تَتَعَدَّ الْقِمَّةَ

قَدْ نَتَرَاخَى أَوْ نَتَقَاعَسُ بَعْدَ قَلِيلٍ

أَوْ نَتَوَانَى!

قَدْ نَتَفَانَى!

قَدْ نَلْبَسُ أَثْوَابَ الْحِكْمَةِ

ندعو الله بأن يحفظ دولة لبنان!

أن يرعاها .. أن يرعانا!

ثم نُكرّر في دعوانا

أن يرضى عنا مولانا!

ملكاً وأميراً بالفطرة أو سلطاناً!

ثم نُصلى كي تتشعّ وكي تتبدّد

تلك الغُمة!

قد نلتزم الصمتَ طويلاً

أو قد لا نتحدّثُ أبداً

قد نتنفّسُ مثلَ الغرقى

أو لا نتنفّسُ أحيانا !!

لكن يبقى الحال على ما كان عليه

ونمضى فى أفعال

الرفض الأولى



قد نتسابقُ فى أن ننشرَ شعراً ينعى

هذا الشيخَ وهذى الطفلةَ!

يومَ انطلقَ رصاصُ العارِ إلى لبنانَ

يبارك قتلهَ!

يحصدُ رأساً

يفقأ مقله

يحرقُ سُنْبُلَةً وطيوراً

ثم يصبُ سَهْمًا مسموماً .. قُنْبُلَةً

نحوَ العشقِ الساكنِ فى شَجَرَاتِ الأرزِ

وفى حباتِ الكرزِ

وفى شريانِ القُبلة!

يحلُمُ أن يتغيَّرَ شكلُ الشرقِ

وأن تتحوَّلَ عن عينيه القُبلة!

☆☆☆

قد نتصورُ أنَّ الحلَّ يُطلُّ علينا

من شُرُفاتِ البيتِ الأبيضِ

لم نتعلم كيف ندافع عن لبنانَ وبيتِ المقدسِ

كيف ندود عن الأوطان!

بالتوحيد وبالقرآن!

لم نستوعبَ درسَ الأمسِ وأمسِ الأولِ

فى بغدادَ وفى السودانِ

وفى الصومالِ

وفى الشيشانِ

وفى أفغانستانِ

لم نهدمَ بعدُ الأصنامَ ولم نتحرَّرَ أو نرتد

عن الأوثان!

واستبدلنا حزبَ الله الصامدَ فى وجهِ

الطاغوتِ

بمحورِ هذا الشرِّ

بحزبِ ينفثِ سُمًّا فينا

مثل الأفعى والثعبانِ

واستسلمنا للشيطانِ

لكن يبقى الحال على ما كان عليه ونمضى

فى أفعال الرفض الأولى
نأسفُ ... نرفضُ ... نشجُبُ
نستكرُ ... نستكفُ
نستهجنُ ... نحزنُ ... نبكى
نشكو للأمم المتحدة أو للفيتو!
نبحثُ ... نكتبُ ألفَ قصيدةٍ شعرٍ
نستنفرُّ كلَّ الأقلامِ
نعتصِرُ أسىً ... لا نقبلُ
ونُدينُ العدوانَ الغاشمَ لكن نخشى أن
تتعصَّبَ كوندرا ... أو أن يغضبَ بوشُ
وتونى بليز وإسرائيلُ
فلا ينعقدُ سلامٌ



وقبحُ العمر!

أنا لستُ ذاكَ الفتى المترجلاً
من فوق هذا الجوادَ
ليخطفَ قلبَ الأميره!
ولستُ أنا الفارسَ المنتظراً!
لكى أتأبَّطَ سيفى وأعدو
فأقتلُ حراسَ قصرِكِ
من أجل عينيكِ أنتِ الأسيره!

فأبدو أنا السيّد المنتَصِرُ

وفى لحظاتٍ قصارٍ

يُذاعُ الخبرُ

بأنّى أنا دونَ كلِّ قبيلةٍ عبسٍ

ودونَ جميعِ الفوارسِ

عنترَةَ!

جئتُ أدفعُ مهرَكِ ألفاً من النوقِ

تلك العصافيرِ

أحفظُ عهدى أمامَ العشيره!

وإن صرَعْتنى أكفُّ الرياحَ

ولم ألقَ غيرَ السرابِ الذى كنتُ أحسبُهُ

بعضَ ماءٍ بتلكِ الفيافى

وإن داهمتني الخطوبُ
وميتُ بعيداً وحيداً بتلك المنافى
على فرسٍ لم يزل يعبرُ الأفقَ شوقاً إلى
المستحيلِ

ويجمعُ ما بينَ كرٍّ .. وفرٍّ!

وحينَ رميتُ

أصبتُ

وحينَ قصدتُ

حصدتُ

وفزتُ

بأسطورةٍ

من أساطيرِ بابلِ

كم أذهلتني

هي امرأةٌ من قمرًا!

وعدتُ إلى وهجِ العمرِ مُلتحفًا بالصُّبا

ومُحتفياً بالأماسى في ليل نيسانَ

والذكرياتِ الأثيره

أحبُّ وألهو وأركضُ كالطفلٍ خلفَ المدى

وعيونى تحدقُ فى السندريلا الصغيره!

☆☆☆

أنا لست ذاك الفتى المترجّل

من فوق هذا الجوادّ

ليخطفَ قلبَ الأميره

ولست أنا الفارس المنتظرُ

فمعدرةً فأنا أستقلُّ القطارَ الذي يتطلَّعُ

نحو الخريفِ

بروحٍ ممزقةٍ

وبقلبٍ شقيٍّ

ووجهٍ كسيفٍ

فما عادَ لي جلدٌ كي أجربَ هذا السَّفَرُ

ولا أن أكرّرَ عزفاً قديماً

على نفسِ ذاكِ الوترِ

لأصبو لتلكِ الحياةِ المثيره!

وأمشي على الجمرِ أو فوقَ زهرِ ينامُ

على حدِّ شوكٍ كثيفٍ!



أنا من أنا بعدَ أن عَلِقْتُ مُقْلَتَاكَ

بروحى

- وعينيكِ -

أرجوكِ يا طفلى أن تبوحى

وقولى بأن بعينيكِ

سرّاً!

أذيعُ

فضمِّدْ كلَّ جروحي

وقولى بأنَّ بوجهكِ

ذاك الندى الصَّبَّوحِ

ملائكةً حينَ أصدرنَّ أمرا

غدوتُ أنا

وجميع الجوارحِ فى - لحظةٍ - بينَ كفيكِ
أسرى!

فعدتُ لذاتى

أعللها بغدٍ من حريرٍ

وفجرٍ وثيرٍ

وجاوزتُ من غير أن أتردد

حدَّ الطموح!

وأصبحتُ الكلماتُ على شفتى كالندى

فوق زهر البنفسج

صرتُ كمن يتقصَّدُ شعرا!

متى استقبلتُ راحتى فى فضولِ يديكِ

وأمطرتُ حينَ تقدّمتِ كلُّ دروبِ المدينةِ

سِحْرًا!

ليرسو شراعى على ضفتيكِ

وَيُكَبِّحُ مِنْ بَعْدِ أَلْفِ جُنُونٍ

جَمُوحِي!



أنا من أنا

صارحيني ... فهذي الملامحُ ليستُ

مِلامِحَ وَجْهِ

أمام المرآيا!

وهذي الخُطى لم تكنْ قبلَ يومٍ .. وليلٍ

خُطَايَا

وهذي البشارةُ فوقَ فمِي

ولونُ دَمِي
ودقاتُ قلبي
وقد زغردتُ .. وبَكَتُ
ثمَّ كادتُ تشقُّ الحنايا
أنا من أنا يا ترى
هل أنا ذلكَ الشاعرِ المُتسرِّبِ بالحزنِ
أم هذه القسماتُ
بذاك المُحيًّا
لأى فتى
يترنَّحُ عشقاً
سوايا ١٥



أميرة الثغر

غالبتُ ظنِّي .. وقد أقبلتُ سبّاقا
أقبلُ الثغرَ شطّانا .. وأشواقا
هل أحسد الشمس قد أرخت ضفائرها
بوجنتيك فزاد الكونُ إشراقا
أم أحسد البدر قد ألقى بفتته
فوق المحيّا فسال النور دفاقا

أم أحسد الفجر إذ ينساب في شفةٍ
ببِسْمَةِ .. كالندى - عذبًا ورقراقا

أم أحسد الليلَ أوابًا .. ومُبْتَهلاً
كي تستجيبى ولو عطفًا وإشفاقا!

أم أحسد البحرَ إذ يمتدُّ ساعدهُ
والموجُ يرنو إلى عينيكِ سَبَّاقا

أم أحسد الصيف والأحلام ساهرةً
لكي تداعبَ أهدابًا وأحداقا

أم أحسد الثغر شطآنًا ويابسةً
جاورتهِ فارتقى حسنًا وأخلاقا

أم أحسد الأرض أن جادتُ بفاتتةٍ
قد هذبتُ في ربوعِ الأفقِ أذواقا

أنا أحبُّك لا جاهًا .. ولا حسبًا
أنا أحبُّك معنىً باتَ برآقا

أنا أحبُّك والنيران ترصدني
ولم أزل وأنا في النار مُشتاقا



ماذا أقول لقلبي حين يسألني
وكم تمزقُ في صمتٍ .. وكم لاقى

أقول يا حظُّ من يلقاكِ باسمَةَ
وراح يسبرُ في عينيكِ أعماقا

لن يشتهى أبداً مالاً ولا ذهباً
حتى وإنم مات في الربيعانِ إملاقاً

قد كنتُ أوقِنُ أنى عدتُ من سَفَرٍ
مُضِنٍ لأرْشُفَ - بعد الوجدِ - ترياقا

وكنتُ أحسبُ أنى لن أمدَّ يداً
إلا إليكِ وقد أنصتُ إطراقاً

وأنكِ الآنِ قد أصبحتِ مملكتى
والكونُ أضحى رحيباً بعد أن ضاقا



سكبتُ زيتى .. وفرشأتى رسمت بها
ملامحاً طبعتُ بالحسنِ أوراقاً

وكلّ قافيةٍ من نبض أوردتى
نزعتهَا لكِ قُرْبَانًا وميثاقًا

كأنّما لم يعدّ إلا مُدَلَّتِي
وقد تماديتُ إسرافًا .. وإغداقا

حتى تقرّح جفنى وانبرى جسدى
والسيلُ حدَّ الزُّبى من لوعتى فاقا!

أسعى إلى عرشها مستسلمًا .. ثملاً
مُغَيَّبًا .. مُغْمَضَ العَيْنينِ .. مُنْسَاقًا

تُرى إلى قدرٍ ما زلتُ أجهلهُ
وكيفَ أسعى إلى المجهول تواقًا

يشدُنِي صمْتُهَا من سَاعِدِي وَيَدِي

وطينُهَا العَذْبُ بِي - فِي لِحْظَةٍ - حَاقَا

وعطرها كُلُّمَا هَمَّتْ يِعَانِقُنِي

وَأَمِ لَوْ قَدَمْتُ أَوْ أَخَّرْتُ سَاقَا!

أَمِيرَةَ الثَغْرِ .. بِالتَّارِيخِ أَمْثَلَةٌ

تَحْكِي عَنِ الحُبِّ - كَيْفَ اجْتَثَّ أَعْنَاقَا

وَكَيْفَ صَوَّبَ رُمْحًا نَحْوَ نَافِذَتِي

وَلَفَّ فِي عُنُقِي قَيْدًا وَأَطْوَأَقَا

أَنَا أَحِبُّكَ هَلْ تَدْرِينِ .. سَيِّدَتِي

كَمْ يَقْتُلُ الحُبُّ - فَوْقَ الأَرْضِ - عُشَّاقَا؟!



بَيِّنَاتُ بَدْرِ أَبِي لَهَبٍ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

وَكُلُّ مَنْ رَمَاكَ يَا مُحَمَّدٌ بِالْإِفْكِ وَالْكَذِبِ

يَا أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ لِلشَّمَالِ هَلُّوا

وَكَبِّرُوا

وَجَاهِرُوا

وَفَاخِرُوا

أَمَامَ كُلِّ أُمَّةٍ

بأنكم وأننا إليه ننتسبُ
وكُلُّما توجَّهتْ قلوبنا إلى الحَرَمِ
بمكَّةَ المُكرَّمَةِ
وارتعدت أرواحنا
وزلزلتْ نفوسنا
من الخشوع والندَمِ
مُسَلِّمَةً .. مُسَلِّمَةً
نشهدُ أن لا إلهَ غيرُهُ
إِلَهنا
نشهدُ أن أحمدًا نبيُّنا
وأنَّهُ شفيعُنا
وواحةُ الأمانِ كُلِّما بدا وأوشكَ التَّعبُ!

تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ

وتبّ

جميعُ من ذهبٍ

ليحصدَ الدينارَ والدولارَ والذهبَ

ويدعى

بالزور والبُهتان تارةً

جهالةً

وتارةً بلا سببٍ!

وتارةً لكى تُثارَ ضجّةٌ جوفاءٌ لا صدَى لها

سوى النعيق والصَّخبِ!

فُتُشِعَلُ المآذِنُ التى تكادُ لاتمامُ بالغَضَبِ!

فالليلُ بالظلام قد وَقَبًا!

والشمسُ طيفُها احتَجَبَ
وأطَبَقَتْ على المدى غَمَامَةً كسيفَةَ السُّحُبِ
ما دمَ هؤلاءِ يفترونَ أو يزايدونَ كُلَّما
معينُهُم نَضَبَ!
يمضونَ خلفَ كلِّ فاجرٍ
وعاهرٍ
كَأنَّهُم ذَنَبَ!
ويُمطروننا غداةَ كلِّ سامرٍ
بوابلٍ من الخُطْبِ!
وينهشونَ دونَ وازعٍ لحومنا
كالنارِ حينما تجوعُ تَأْكُلُ الحَطْبَ!
ويُشهرونَ في وجوهنا سيوفَهُم

لكنها جميعها من الهشيمِ

والخشبِ!

تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ

وتبَّ!



تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ

وكلُّ من رمى بفُحشه

الأمينَ سيِّدَ العَرَبِ

وغايةَ الأَرَبِ

وكلُّ من تجاوزَ الحدودَ واقتَرَبَ

من اسمه

ورسَمِه

وجاوزَ الأعرافَ والأدبَ

يا أيُّها المكذِّبونَ بالكتُّبِ

وبالسُّننِ

وبالرُّسُلِ

يا سادةَ القصورِ والبروجِ بالمُدُنِ

يا أيُّها المُحلِّقونَ فى الفضاءِ بالسُّفُنِ

السابِرونَ غَوَرَ هذه النجومِ والشُّهُبِ

فى لحظةٍ قصيرةٍ من الزَّمَنِ

الباحثونَ عن حضارةٍ وثيرةٍ وعن عقيدةٍ رخيصةٍ

وعن مَظَلَّةٍ من الأمانِ والسَّكَنِ

الهائمونَ دونما مِلِّ

ولا نِحَلِّ

إلى متى هذا الهراء والدجل؟!
وهذه المزاعم الحمقاء والجدل؟!

ألم يحن؟!

أن تبرؤا من كل هذه العِلل؟!

تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ

ومَنْ ذهبَ

بعقله المريضِ يوقِظُ الفتنَ

يَحْسَبُ أن علمه الفريدَ لم يزلْ

يحميه كُلِّما استبدَّ أو طغا

من الزلِّ

ومن يدِ الزمانِ حينما تجودُ بالمِحْنِ

وأن ماله الذي كَسَبَ

يبتاعُ كلُّ ما رَغِبَ!

وكلُّ من هبَّ ودَبَّ!

تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ

وتَبَّ!



الأم والاب

لكِ يا مصرُ الهوى ينتسبُ
وبشطيكِ يهونُ التعبُ

نيكُ الخالدُ يجرى سلسلاً
ساحِراً قد غارَ منه الذهبُ

سجلَ التاريخُ أمجاداً لهُ
وتبـارتُ في هواه الكُتبُ

كمْ شربنا من لَمَاهُ خمرةً
وطربنا حينَ عَزَّ الطَّربُ

هذه مصرُ وهذا مجدُها
أقسَمَ العُجَمُ بها والعَرَبُ
وَطَنُ قَد ضَمَّ فِي أَحْضَانِهِ
كُلُّ مَنْ أَضْحَى لَهُ يَنْتَسِبُ
مِنْ بَنِي عَيْسَى وَنَسْلِ الْمُصْطَفَى
لَمْ يَعُدَّ فِي رِبْعِهَا مُغْتَرِبُ
كُلِّ مَنْ جَارُوا وَغَارُوا غِيْلَةً
كُلِّ مَنْ حَاقُوا بِهَا وَاقْتَرَبُوا
مِنْ جِمَاهَا يَسْتَبَدُّونَ بِهَا
كُلَّمَا الْغَيْمُ بَدَا وَالسُّحُبُ

نَدِمُوا حَتَّى إِذَا لَمْ يُفْلِحُوا
أَدْبَرُوا فِي زَهَبَةٍ وَانْسَحَبُوا

هَذِهِ مِصْرٌ وَهَذَا شَعْبُهَا
طَيِّبُ الْأَعْرَاقِ .. نَعَمَ الطَّيِّبُ

هَذِهِ مِصْرٌ وَكَمْ مَدَّتْ يَدًا
وَأَغْثَاتٍ كُلِّ مَنْ يَضْطَرِبُ

مِنْ مُحِيطٍ لَخَلِيجٍ .. كَلَّمَا ..
حَلًّا خَطْبًا نَيْلُهَا يَنْتَجِبُ

هَذِهِ الضَّادُ الَّتِي تَجْمَعُنَا
فِي دِمَانَا عِشْقُهَا يَنْسَكِبُ

صِلَةُ الأَرْحَامِ أَنِّي نَلْتَقِي
وَالنَّبِيَّ الْمُصْطَفَى وَالنَّسَبُ

وَالْحَضَارَاتُ الَّتِي قَدْ أَشْرَقَتْ
وَنَمَا فَوْقَ ثَرَاهَا الْعَجَبُ

مُنْذُ آمُونَ وَفِي أَعْمَاقِهَا
جَذْوَةٌ مِنْهَا تُضَاءُ الشُّهُبُ

كَلَّ شَمْسٌ تَتَوَارَى بَيْنَمَا
شَمْسُهَا فِي الأُفُقِ لَا تَحْتَجِبُ

لُغَةُ التَّوْحِيدِ بَاتَتْ سِرَّهَا
يَنْطِقُ الشُّعْرُ بِهَا وَالْأَدَبُ

مِنْ زَمَانٍ زَيَّنَتْ جُدرَانَهَا
وعلى أبوابها تَنْتَصِبُ

كم أتاها طامِعٌ في عِزِّها
ورماها مارقٌ مُفْتَصِبُ

حِقْبٌ بادَتْ على أعتابها
وقرونٌ .. وتوالت حِقْبُ

وهي كالماردِ في نُورِتهِ
حينَ يبدو أو يلوحُ الغَضْبُ

هذه مصر التي لا تنحني
فهي للتاريخ أمُّ وأب!



أبى

أبى هذه الدورُ تبكى عليكِ
وتبكى الطيورُ على كلِّ أَيْكٍ

ويسألُ عَنْكَ النَّدَى والنسيمُ
وَإِطْلَالَةُ الفجرِ تهفو إليكِ

تُخَفِّضُ عَنْكَ عِناءَ الليالى
وتحملُ ما فاضَ عن كاهليكِ

ويدعوك صوتُ بلالٍ وقد
ترقرق كالسحرِ في أُذُنِكَ

فيُشرقُ وجهُكَ عندَ السجودِ
وينسكبُ النورُ من مُقلَتَيْكَ

وتمضى تُسبِّحُ لله حمداً
وشكراً على ما أفاءَ عليك

وحينَ أمدُّ إليك يداً
تَسْرُرُ وأنتَ تمدُّ يديكَ!

لتشملني بحنانٍ وثيرٍ
تدفقَ كالنهرِ من ساعدَيْكَ

وَأَنْتَ تَشُدُّ عَلَى سَاعِدِي
وَوَجْهِي تَبَسُّمٌ فِي نَظْرِيكَ

وَتَنْفِضُ عَنِّي رُكَامَ الْهَمِّ
وَكَمْ مِنْ أَسَىٍّ وَهَمٍّ لَدَيْكَ!

وَتَدْمَعُ عَيْنَاكَ فِي غِيبَةِ
مَتَى جِئْتُ أَلْقَى عَلَى مَسْمَعِيكَ

تَبَارِيحَ شَعْرِي فَأَلْمَحَ شِلَالَ
عَطْفٍ تَدْفُقُ مِنْ نَظْرَتِيكَ

أَبِيَّ كُلَّمَا الذِّكْرِيَاتُ هَمَّتْ
وَرَحْتُ أَفْتَشُّ عَنْهَا وَعَنْكَ

وَعُدْتُ إِلَى الْخَلْفِ خَمْسِينَ عَامًا
وَأَنْتَ تَوَسَّطْتَنِي كَتَفَيْكَ

تَقْصُّ عَلَيَّ الْحِكَايَاتِ حَتَّى
أَنَامَ وَأَصْحَوُ عَلَى قُبَلَتَيْكَ

تُعَلِّمُنِي : أَنْ لَا خَيْرَ فَيْكَ
إِذَا لَمْ تَصِلْ أَبَدًا وَالِدَيْكَ!

وَيَمْضَى حَدِيثُكَ ثَرًّا .. شَهِيًّا
وَقَدْ رَاحَ يَقَطُرُ مِنْ شَفَاتَيْكَ

فَلَا أَنْتَ - وَاللَّهِ - تَشْبَعُ مِنِّي
وَلَا أَنَا - وَاللَّهِ - أَشْبَعُ مِنْكَ!



روحانا!

حينَ التَقْتَا

وغدتُ روحانا روحاً واحداً

وتمازجتنا

كُنْتُ .. وكُنْتُ

والآنَ غدوتُ أنا أنت!

وغدوتِ أنا!

فتوحدتَا

وبدأتُ تسألني روحكِ وهي تمورُ وتجتُرُ الحزنا!

هل تذكرُ يومَ تلاقينَا؟

وتمنينا

أن نبقى معَا

والشوقُ دَعَا

دقَّ الأبوابَ .. رَنَا

وسَعَا!

فتقدّمنا

وتأخرنا

وتراجَعنا

أنا صرتُ هناكَ

وأنتَ هُنا!

☆☆☆

أذْكُرُ!

يا أوَّلَ من عَلَّمَنِي الحَبَّ وأوَّلَ من أوجَعَ قلبي

فاستمرأتُ الوجعاً!

ودفعتُ العُمَرَ له ثَمَنًا!

أذْكُرُ!

لا أذْكُرُ إلاَّ قلبي يرقصُ في صدري

ولعاً!

والعظمُ بجسمي قد وهنًا!

والوجدُ يذوِّبني روحاً!

ويُعذِّبني بدناً!

وأنا ألقاكِ ويفصلنا

شيءٌ مجهولٌ قد منعاً!

أَنْ نَقْرَبَ هَذِي الشَّجْرَةَ حَتَّى لَانْهَأَ رِيًّا

أَوْ نَسْتَلْقَى شَبَعَا

أَذْكُرُ!؟!

لَا أَذْكُرُ إِلَّا أَنِي قَدْ سَافَرْتُ بَعِيدًا

وَتَغَرَّيْتُ .. وَشَرَّقْتُ .. وَغَرَّيْتُ وَأَبْحَرْتُ

وَأَحْرَقْتُ السُّفُنَا!

وَذَرَعْتُ الصَّحْرَاءَ الْجُرْدَاءَ وَنَمْتُ عَلَى أَهْدَابِ

العُشْبِ

وَطَوَّقْتُ الْمُدُنَا!

وَرَحَلْتُ عَلَى مَتَنِ الْأَمْطَارِ لِتَسَاقُطِ شَجْنَا!

وَاشْتَقْتُ إِلَيْكَ فَحَارَبْتُ الْأَيَّامَ

وَعَانَدْتُ الزَّمَانَا!

أذْكُرُّ؟!

لا أذْكُرُّ إِلَّا أَنِي قَدْ طَوَّفْتُ كَثِيرًا لَكِنِّي أَبَدًا

لَمْ أَشْهَدْ أَجْمَلَ مِنْ عَيْنِكَ اللَّوْلُوتَيْنِ

بَرِيقًا!

لَمْ أَعْرِفْ أَحْلَى مِنْ شَطَّانِهِمَا

وَطَّنَا!!



نَسِيحُ حَلِجِ عَابِدٍ

إِلَهِي تَعِبْتُ وَطَالَ السَّفَرُ
وَلَا شَاطِئٌ لِي وَلَا مُسْتَقَرٌّ

فَهَذِي الْحَيَاةُ بَدَتُ كُلُّهَا
سِبَاقًا مَضَى بَيْنَ كَرٍّ وَفَرٍّ

أَنَا أَيْنَ مِنْهَا وَإِنْ لَمْ تَزَلْ
تَرَاوَدْنِي بَيْنَ خَيْرٍ وَشَرٍّ

وَلَسْتُ نَبِيًّا وَلَا مُرْسَلًا
لَأَزْهَدَ فِيهَا فَأَيْنَ الْمَفْرَا

إلهى لغيرك لا أنحنى
فأنت من الطين شكّلتنى

وإن صدئت بالبحار اللآلى
فليس يُصيبُ الصّدا معدنى

فعدى كتابك نعم الكتابُ
جهلتُ الحياةَ فعلمتتى

وعندى نبيُّ هو المصطفى
لديه كنوزٌ من السننِ



إلهى ويا غَايَةَ الْمُتَّقِينَ
ويا مُنْتَهَى الرُّكْعِ السَّاجِدِينَ
أَعْنَى عَلَى طَاعَةٍ لَمْ أزلْ
بِهَا أَتَزَوَّدُ فِي كُلِّ حِينٍ
وَأَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَلَا
تَدْعِنِي أَسِيرًا لِهَذِي الظُّنُونِ
فَأَنْتَ الْقَدِيرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
إِذَا قُلْتَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ



إلهي أعِدْ لي سكونَ العوالمِ
خلالَ القعودِ وعندَ القيامِ
وهبْ لي القناعةَ في كلِّ شيءٍ
ليرتاحَ عقلي الذي لا ينامُ
ولا لا تكلني إلى الناسِ إنِّي
ضعيفٌ إذا ما سألتُ الأنامَ
وأنتَ الذي دونَ سؤالِ تلبّي
مجيبًا فماذا يُفيدُ الكلامُ ؟!



إلهى لقد ضاع منى الطريق
وصرت بلا ساعدٍ أو رفيقٍ
وأصّبتُ فى وحدتى مُرغماً
وأمسيتُ ما بينَ عُسرٍ وضيقٍ
وكدتُ أضلُّ بهذى الشُّعابِ
وأسقطُ فى قاعِ جُبِّ سحيقٍ
إلى أن تجلّى شعاعٌ بدا
يداً أمسكتَ - فجأةً - بالرفيقِ



إلهى .. تفيضُ بعيني الدموعُ
وقلبي تمزقُ بين الضلوعُ
وكلّ الجوارحِ مستسلماتُ
تُسبِّحُ في رجفةٍ وخشوعُ
وتوقظني من سُباتٍ عميقٍ
فعلَّ غدًا يستحيلُ الرجوعُ
وإن كنتُ أطمعُ في رحمةٍ
فأنتَ الرحيمُ وأنتَ الشَّفيعُ



إلهى .. إذا الليلُ مَاجَ وطالُ
ولوَعَنَا مِثْلَ دَاءِ عُضَالُ
وصرنا بلا عاصمٍ كُلِّمَا
طويناهُ عادَ فصالٍ وَجَالُ
نلوذُ بقِرَانِكَ السَّرْمَدِيَّ
نُرتلُهُ في تَقَىِّ وابتِهَالُ
فَنَلْقَاكَ في كلِّ آيٍ مَجِيْبًا
على كلِّ لَفْزٍ وكلِّ سِوَالُ
☆☆☆

إلهى .. هوانى على الناس زاد
فصرتُ غريباً بهذى البلادُ
ورحتُ بعطفِكَ لى أحتمى
وصارَ حنانك لى خيرَ زادُ
فخذ بيدي أنتَ يا عادلاً
ولا .. لا تدعنى لظلمِ العبادُ
فقد أسفرَ الظلمُ عن وجهه
فأصبحَ فينا ثمودٌ وعادلاً



إلهى أنا ليس لى بالوجود
سوالك فأنت الملاذ الوحيد
فلا الناس تعضو وأنت العفؤ
ولا الناس تحنو وأنت الودود
ولا المال يُغنى وأنت الغنى
ولا الجاه يبقى وأنت المديد
ولا أنا مستعصم بسوالك
فأنت قريب كحبل الوريد!



إلهى أنا العبدُ ذاكَ الفقيرُ
بغيرك ياربُّ لا أستجيرُ
ذنوبى ينوءُ بها كاهلى
وروحى تمورُ .. وقلبي أسيرُ
ونفسى مُكبَّلةٌ بالخطايا
يؤرِّقُها هاجسٌ وضهيرُ
فمهما تخيَّلتُ أنى طليقُ
ومُسْتَرسلٌ فإليك المصيرُ



الشاعر فى سطور

- تخرج فى كلية التجارة - جامعة عين شمس ١٩٧٤
 - تخرج فى كلية الآداب قسم اللغة العربية - جامعة عين شمس ١٩٨٥
 - يعمل حالياً كمدير عام بالجهاز المركزى للمحاسبات.
 - صدر له حتى الآن عشرة دواوين شعرية.
 - له تحت الطبع أربعة أعمال أدبية.
 - حصل على جائزة المركز الأول فى الشعر من المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٢.
 - حصل على جائزة عيد الفن من وزارة الثقافة عامى ١٩٨٠ ، ١٩٨١.
 - عضو اتحاد كتاب مصر.
 - شارك فى العديد من المهرجانات الشعرية بمصر والخارج.
 - قام بتأليف العديد من البرامج الإذاعية مثل:
المبشرون بالجنة ، أقطاب وألقاب «صوت العرب»
مساء الخير بالبلدى «شبكة الإذاعات المحلية».
 - تنشر قصائده بالجرائد والمجلات المصرية والعربية.
 - تناول شعره بالنقد العديد من الأساتذة الأدباء والمفكرين أمثال
أ/ أنيس منصور فى أنتم «الناس أيها الشعراء».
 - أ.د/ أحمد طاهر حسنين «بين التراث والمعاصرة».
 - أ.د/ يوسف نوفل فى «النص الكلى».
 - أ.د/ محمد عبدالمطلب
 - أ.د/ حامد أبو أحمد .. الخ ..
 - عنوان الشاعر للمراسلة : ١٠٧ شارع هارون الرشيد - مصر الجديدة -
شقة ٣٠٣ . المحمول : ١٣٩ ، ١٢٣١٨٠ / ٠١٨٩٧١٦٨٤٩ .
- E - mail : abdelgawad_tayel@hotmail.com

صدر للشاعر

- ولكنى أحبك ديوان شعر ١٩٨٠
مملكة الحب ديوان شعر ١٩٨٢ دار الفكر العربي
أشواق وأشواك ديوان شعر ١٩٨٥ دار الفكر العربي
والحب كان الثمن ديوان شعر ١٩٩٢ المكتب المصري الحديث
هذا هو القمر ديوان شعر ١٩٩٩ الدار المصرية اللبنانية
الحياة وطن ديوان شعر ٢٠٠٢ الهيئة العامة للكتاب
الفراشة واللهب ديوان شعر ٢٠٠٤ الهيئة العامة للكتاب
إرهابيون ديوان شعر ٢٠٠٤ روز اليوسف
حبيبتى والبحر ديوان شعر ٢٠٠٩ مكتبة الآداب
أوراق من حديقة العشق «خواطر نثرية تحت الطبع»

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	وأسدل الستار
١٣	أيها الشاعر
١٩	نداء إلى الضاروق
٣١	النيران والحطب
٣٩	إنسحب
٥٤	زهرة من آذار
٦٠	راهب ولؤلؤة
٦٧	لا تسألني
٧٢	إلى أمي
٧٨	وزلزلت الأرض
٨٧	أفعال الرفض
٩٩	وهج العمر
١٠٨	أميرة الثغر
١١٤	تبت يدا أبي لهب
١٢٢	أم وأب
١٢٧	أبى
١٣١	روحان
١٣٦	تسبيحات